

الحرية الدينية باعتبارها حقًا من حقوق الإنسان في الإسلام



محمد أمين الميداني
ترجمة: محمد بن همور

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث
www.mominoun.com

الحرية الدينية باعتبارها حقاً من حقوق الإنسان في الإسلام¹

محمد أمين الميداني²

محمد بن همور³

1. نشرت هذه الدراسة في الأصل في :

JURA GENTIUM, Rivista di filosofia del diritto internazionalee delle politica globale journal of philosophy of international and global politics, vol. VI, n. anno 2009, p119-124

2. محمد أمين الميداني دكتور دولة في الحقوق، ورئيس المركز العربي للتربية على القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان، بفرنسا، وأستاذ زائر في جامعة ستراسبورغ، وأستاذ زائر في جامعة الجنان، طرابلس، لبنان، وعضو الهيئة الاستشارية لمركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان.

3. طالب باحث بسلك الدكتوراه، مختبر الإنسان، المجتمعات والقيم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة-المغرب.

مدخل

الحرية هي إحدى خصائص حقوق الإنسان في الإسلام؛ وباقي الخصائص الأخرى هي المساواة والعدالة. بالنسبة إلى المؤمنين، فإن الخضوع لله هو تحرير للبشر من إخوانهم البشر، ومن الخضوع الذي يمكن أن يقوض كرامتهم وشخصيتهم. إنه أولاً «تحرر روعي» الذي يُترجم، عن طريق القدرة على الاختيار، مع مراعاة ما وهبه الله لنا من العقل وإمكانية التصرف وفقاً لاختيارنا.

الحرية الدينية عنصر أساسي للحرية في الإسلام. وهذه الحرية معترف بها ومضمونة، ويدافع عنها المصدران الرئيسيان للشريعة أو القانون الإسلامي؛ وهما: القرآن (1) والسنة أو حديث النبي محمد (2). يبقى في الحقيقة أن هناك بعض القضايا الحساسة المتعلقة بالحرية الدينية في الإسلام (3). أخيراً، نتناول بعض النصوص التي اعتمدها المنظمات الإسلامية في الحرية الدينية (4).

أولاً- الحرية الدينية في القرآن

ينقسم القرآن إلى 30 فصلاً، وبه مائة وأربع عشرة سورة، وست ألف ومائتان وست وثلاثون 6236 آية. أنزل على محمد خمس وثمانون سورة في اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً: مدة إقامته في مكة. هذه السور التي تسمى السور المكية أسست العقيدة الإسلامية؛ تسع وعشرون سورة نزلت بالمدينة المنورة بعد هجرة الرسول (1) إليها، والمسماة سور مدنية، وتتعلق بالعلاقات بين المسلمين، وتحدد قواعد الحياة الاجتماعية والأسرية، وتحتوي على أحكام عامة في القانون. (جنائية، دولية، إلخ). هذه باختصار قواعد المدينة الإسلامية. وتجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد سوى خمسمائة آية في القرآن تتعلق بالمسائل القانونية. من ناحية أخرى، هناك 1300 آية تتعلق بالسماء والأرض.

لم تُنزل سور القرآن كلها دفعة واحدة، ولكن عند الحاجة؛ أي بمناسبة حدث معين. جاء الوحي في آيات طويلة أو قصيرة. ووفقاً لعلماء المسلمين، فإن هذه الطريقة في إنزال القرآن منّت raffermisait قلب الرسول، ومن ناحية أخرى مكّنت أصحاب النبي من حفظ آيات القرآن عن ظهر قلب. في نهاية حياته أُملى الرسول على أصحابه الترتيب الحالي للقرآن بأمر من الله.

تتناول عدة آيات قرآنية الحرية الدينية:

«وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» (20/2) (2).

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» (256/2).

«وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ» (48/5).

«فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» (41/10).

«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا» (99/10).

«وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ» (103/12).

«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (125/16).

«وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» (29/18).

«فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» (15/42).

«فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ» (88 / 21-22).

«لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي» (6/109).

نريد أن نلفت الانتباه إلى بعض النقاط المهمة جداً والمعبرة جداً حول ما تتضمنه هذه الآيات، والتي توضح لنا كيف يضمن القرآن هذه الحرية:

1. معظم الآيات القرآنية هذه هي آيات من السور المكية (السور 10 و 12 و 18 و 42 و 88 و 109) مما يعني أن احترام الأديان الأخرى والحرية الدينية للمؤمنين المختلفين جزء من العقيدة والإيمان. من المسلمات والعقيدة الإسلامية.

2. ديانات «أهل الكتاب»؛ أي الديانتين اليهودية والمسيحية، ديانتان معترف بهما في الإسلام.

3. هناك اعتراف كامل واحترام عميق للأديان الأخرى غير الإسلام. تبدأ الآيات القرآنية التي تتحدث عن الحرية الدينية دائماً بالديانات الأخرى قبل ذكر الإسلام، على سبيل المثال. «لکم دینکم، ولي دینی» (6/109).

ثانيا- الحرية الدينية في السنة النبوية

تتكون السنة النبوية من جميع الأقوال والأفعال المنسوبة إلى النبي محمد. إنها تتعلق بعباداته، وقواعده وسلوكه، وطريقته في الفعل أو عدم الفعل، وصمته في مثل هذه المناسبة أو تلك.

وقد لعبت السنة النبوية دوراً كبيراً في تفسير أحكام القرآن، وتطوير أصوله وقواعده. قدمت حلولاً لمشاكل المجتمع المسلم الجديد. وتبقى مكانتها دائماً أدنى درجة من مكانة القرآن في التسلسل الهرمي لمصادر الشريعة الإسلامية.

إذا كان للقرآن قيمة أصيلة لا جدال فيها، فيمكن للمرء أن يقول إن هذا ليس هو الحال بالنسبة إلى جميع الأحاديث النبوية. وهذا ما دفع بعض العلماء المسلمين إلى تكريس حياتهم كلها للبحث والتحقق وجمع الحديث الصحيح في الأعمال العلمية. تتعدد أعمال هؤلاء العلماء، لكن أشهرها: البخاري (ت ٨٧٠)، ومسلم (ت ٨٧٥)، وأبي داود (ت ٨٨٩)، والترمذي (ت ٨٩٢) (٣).

تتناول العديد من أحاديث النبي محمد الحرية الدينية واحترام الأديان الأخرى:

«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره».

«ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها».

من ناحية أخرى، لم يتردد الرسول محمد في الاستشهاد بكلمات «كتب» الديانات الأخرى. فقال:

«مكتوب في الإنجيل: «كما تدين تدان، وكما تزرع تحصد»، وهو مكتوب في التوراة: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيُبْسَلْ رَجْمَهُ».

ثالثا- بعض الموضوعات الحساسة مرتبطة بالحرية الدينية

أ. تغيير الدين

سنقدم مثلاً فيما يتعلق بمسألة تغيير الدين، انطلاقاً من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948.

تنص المادة 18 من هذا الإعلان العالمي على ما يلي: «لكل فرد الحق في حرية الفكر والوجدان والدين. وينطوي هذا الحق على حرية تغيير الدين أو المعتقد فضلاً عن حرية إظهار المرء للدين أو المعتقد، بمفرده

أو بشكل مشترك، في الأماكن العامة والخاصة على حد سواء، من خلال التعليم والممارسة والعبادة وأداء الشعائر».

شاركت عشر دول إسلامية (هي الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي) في صياغة هذا الإعلان العالمي، وهم: أفغانستان والسعودية ومصر والعراق وإيران ولبنان وباكستان وسوريا وتركيا واليمن. صوتت كل هذه الدول الإسلامية لصالح هذا الإعلان في 10 ديسمبر 1948، باستثناء المملكة العربية السعودية التي امتنعت عن التصويت، إلى جانب 7 دول أخرى أعضاء في الأمم المتحدة في ذلك الوقت. وممثل اليمن تغيب عن التصويت النهائي.

أثارت المادة 18 احتجاجات قوية من ممثلي الدول الإسلامية قبل اعتمادها من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة فيما يتعلق بعبارة: «هذا الحق يعني حرية تغيير الدين أو المعتقد».

وترأس ممثل المملكة العربية السعودية وفوداً من الدول الإسلامية احتجت على هذه المادة، حيث عارض هذا البند المتعلق بتغيير الدين. على اعتبار أن هذه الفقرة تلعب لصالح التدخلات السياسية الأجنبية التي تقدم نفسها على أنها بعثات تمارس التبشير (4). وانضم ممثل مصر إلى المندوب السعودي في توضيح أن الإعلان عن هذه الحرية في تغيير الدين يعكس «مكائد بعض البعثات المعروفة في الشرق، التي تواصل جهودها بلا كلل من أجل تحويل ديانة وإيمان شعوب الشرق» (5).

من السهل فهم الأسباب الكامنة وراء هذه «المهام الحضارية» المزعومة التي ليس لها هدف آخر سوى فرض «مفهومها الخاص لحقوق الإنسان: المفهوم الليبرالي» (6)، حيث توجد الحرية لتغيير الدين.

لهذه الأسباب السياسية و«الحضارية»، يجب أن نضيف الحظر الصارم الذي تفرضه الشريعة على التخلي عن الدين الإسلامي (7).

أما إذا بحثنا عن أسباب هذا النهي الذي نصت عليه الشريعة في تغيير الدين، فسنجد أصوله في الأحداث التاريخية التي بررت دخوله بعد هجرة النبي محمد وأصحابه من مكة إلى المدينة المنورة سنة 622 م، حيث تحول عرب المدينة في مجملهم إلى الدين الإسلامي، واتحدوا بعد فترة من التنافس المسلح في المدينة المنورة. وقد كان هناك أشخاص اعتنقوا الإسلام في البداية ثم ارتدوا، مما زرع الشك بين المسلمين حول دينهم ومعتقداتهم.

تحدث القرآن بدوره عن هذه الفترة (8) ونهى عن تغيير الدين لدحر محاولات أولئك الذين يسعون إلى إثارة الشك في المؤمنين. لذلك، «لن يفكر أحد في تبني العقيدة الإسلامية بعد الآن دون أن ينضج قراره أولاً في ضوء العقل والعلم، وبهدف ارتداد نهائي ودائم» (9).

يتحدث العلماء المسلمون المعاصرون، اليوم عن عواقب تغيير الدين، ويحاولون التمييز بين فئتين من الناس: أولئك الذين يظل تغيير الدين بالنسبة إليهم مسألة شخصية وخاصة، والذين لا يعلنون هذا التغيير أو لا يدفعون الآخرين إليه لفعل ذلك. أما المجموعة الثانية، فهي من يسعون أهلها إلى بث الشك في صفوف المسلمين أو الاعتداء على دينهم أو الإخلال بالنظام العام بأفعالهم أو بأقوالهم أو منشوراتهم.

بالنسبة إلى الفئة الأولى، لا يوجد ما يبرر التدخل «في حقهم» (10). من ناحية أخرى، يجب أن يتخذ موقفاً حازماً تجاه أولئك الذين يسعون إلى تعكير صفو النظام العام؛ لأنه لا توجد سلطة في أي بلد تتسامح مع الاضطرابات ولا تعاقب دائماً الجناة.

نحن هنا، نشترك تماماً وجهة نظر علماء المسلمين؛ لأن هذا الموقف هو الذي يعكس على أفضل وجه روح الشريعة الإسلامية التي لا تتدخل أبداً في الحياة الخاصة للإنسان، ولكنها تحميها بما يتجاوز أية قناعة أو عقيدة (11).

من جهة أخرى، لا ينبغي أن ننسى أن حرية تغيير الدين هي عنصر من عناصر الحرية الدينية ككل، ويمكن تقييد هذه الحرية لأسباب مختلفة، على سبيل المثال، السلام بين الناس، واحترام النظام العام.

ب. الحرية الدينية لغير المسلمين

تمت معاملة وضع غير المسلمين في الإسلام من قبل هؤلاء العلماء المسلمين على قدم المساواة.

يمكن لغير المسلمين ممارسة حريتهم في الضمير والدين في الدول الإسلامية. نقرأ في القرآن: «لكم دينكم. ولي ديني» (6/109)، أو مرة أخرى: «لا إكراه في الدين»! (2/256)، أو مرة أخرى: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ (99/10)، لأن «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا» (48/5).

رابعاً- التنظيمات الإسلامية والحرية الدينية

يجب التمييز بين النصوص المعتمدة من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي كمنظمة حكومية دولية والنصوص التي اعتمدها المجلس الإسلامي في لندن كمنظمة غير حكومية.

أ- النصوص التي اعتمدها منظمة المؤتمر الإسلامي

1. إعلان دكا حول حقوق الإنسان في الإسلام 1983

لم يذكر إعلان دكا (12) الحرية الدينية، رغم أهميتها ومكانتها بين أحكام الشريعة.

2. إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام 1990

لا توجد مادة في إعلان القاهرة (13) تذكر حرية العقيدة أو حرية المجاهرة بالدين! تشرح المادة 10 فقط أنه «لا يجوز ممارسة أي شكل من أشكال الإكراه على الرجل لإجباره على التخلي عن دينه...». لماذا أهمل ذكر حرية العقيدة؟

ومع ذلك، يحترم الإسلام جميع الأديان، ويحظر رسمياً جميع أشكال الإكراه في الدين (14)، وتصر العديد من الآيات القرآنية على حرية الدين (15). من ناحية أخرى، تحمي قواعد الشريعة وجود الأقليات الدينية، وخاصة «أهل الكتاب» (اليهود والنصارى).

ب- النصوص التي اعتمدها المجلس الإسلامي بلندن

الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان لعام 1981

أعلن المجلس الإسلامي بلندن بمناسبة بداية القرن 15 الهجري، عن وثيقتين؛ الأولى الإعلان الإسلامي الكوني، والثانية الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان. هذه الأخيرة أعلن عنها يوم 19 من شتنبر 1981 من قبل الأمين العام لهذا المجلس في مقر اليونسكو بباريس.

تتحدث المادة 13 من هذا الإعلان، عن الحق في الحرية الدينية: «لكل فرد الحق في حرية المعتقد والعبادة وفقاً لمعتقداته الدينية».

استنتاج

يؤكد المصدران الرئيسان للشريعة بوضوح تام على احترام وأهمية الحرية الدينية كحق من حقوق الإنسان في الإسلام. ويحتوي التاريخ الإسلامي على أمثلة من احترام الحرية الدينية لغير المسلمين عبر القرون.

مسألة تغيير الدين في الإسلام دقيقة اليوم في ضوء التفسيرات الجديدة لقواعد الشريعة.

لم تذكر المنظمات الإسلامية الحكومية وغير الحكومية الحرية الدينية في نصوصها، وهذا هو حال منظمة المؤتمر الإسلامي، أو أنها لم تصر، بشكل واضح ومتميز، على هذه الحرية، وهذا هي حالة المجلس الإسلامي في لندن (16).

المراجع:

1. في يوم الاثنين 12 ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة الموافق 31 مايو 622 من العصر المسيحي، وصل الرسول محمد إلى المدينة المنورة تاركاً مسقط رأسه مكة، ليهاجر بين سكان المدينة المنورة، إيذاناً ببداية العام الهجري.
2. القرآن. مقدمة وترجمة وملاحظات د. ماسون، باريس، غاليمارد، 1967
3. انظر فيما يتعلق بمصادر الشريعة الإسلامية، محمد أمين الميداني و رالف ستيلي، «الإسلام» في قاموس حقوق الإنسان، تحرير جويل أندريا نتسيمباروفينا، وهيلين جودين، وجان بيير مارجونود، وستيفان ريالز، وفريديريك سودر، وباريس، وبوف، 2008، ص. 543
4. المحاضر الرسمية للدورة الثالثة للجمعية العامة للأمم المتحدة. الجزء الأول. القضايا الاجتماعية والإنسانية والثقافية. اللجنة الثالثة. محاضر موجزة للجلسات، 21 سبتمبر - 8 ديسمبر، 1948، الحاشية 22، ص. 391-392
5. تقارير الجمعية العامة، المجلد الثالث للجنة. 2، 127 اجتماع ص. 391 - 392؛ 9؛ 1، A/C3/247 Rev. 1 أكتوبر 1948
6. إيف ماديبوت، حقوق الإنسان والحريات المدنية، باريس، نيويورك، برشلونة، ميلان، ماسون، 1976، ص. 73
7. «لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة». القرآن الكريم (217/2)
8. قال بعض أهل الكتاب: «وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَاءَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ». القرآن (72/3).
9. ندوة الرياض (المملكة العربية السعودية). مذكرة من حكومة المملكة العربية السعودية بشأن عقيدة حقوق الإنسان في الإسلام وتطبيقها في المملكة موجهة إلى المنظمات الدولية المعنية في ندوة الرياض وباريس والفاتيكان وجنيف وستراسبورغ بتاريخ العقيدة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام، محرر. (دار الكتاب اللبناني) بيروت (بدون تاريخ) ص. 57
10. «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون». القرآن الكريم (217/2).
11. انظر، محمد أمين الميداني، «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والقانون الإسلامي»، في القراءات المعاصرة للشريعة الإسلامية. أوروبا والعالم العربي، فرانك فريجوسي (دير.). Presses Universitaires de Strasbourg، Strasbourg، 2004، pp. 154-186
12. راجع نص هذا الإعلان في كتاب محمد أمين الميداني، حقوق الإنسان والإسلام. نصوص المنظمات العربية والإسلامية. مقدمة جان فرانسوا كولانج، رابطة منشورات كلية اللاهوت البروتستانتية، جامعة مارك بلوخ، ستراسبورغ، 2003، ص. 69 وق.
13. انظر نص هذا الإعلان، نفس المرجع، ص. 67 وق.
14. نقرأ في القرآن: «لا إكراه في الدين»، القرآن، (256/2).
15. انظر القرآن سورة 256/2. 41/10؛ 99/10؛ 103/12؛ 29/18؛ 6/109؛ 70/17
16. نص مؤتمر عقد في 4 مايو 2009 في ستراسبورغ خلال مؤتمر الكنائس النهريية في نهر الراين.

MominounWithoutBorders



Mominoun



@ Mominoun_sm



مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com

www.mominoun.com